وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **قسم: علم الاجتماع**

مقياس: التحليل السوسيولوجي للإعلام **السنة الجامعية: 2019- 2020**

السنة: الأولى ماستر علم اجتماع الاتصال

عنوان المحاضرة: التحليل السوسيولوجي للصحافة المكتوبة

د. نصرالدين نواري

تهدف هذه المحاضرة إلى محاولة تزويد الطلبة بالأدوات التحليلية المنهجية والسوسيولوجية التي تمكنهم من القيام ببحوث ودراسات ذات علاقة مباشرة بالصحافة المكتوبة، باعتبارها أحد أهم وسائل الإعلام التي تتناول في تغطيتها اليومية والأسبوعية الكثير من الظواهر والوقائع الاجتماعية.

عناصر المحاضرة:

أولا. مفهوم الصحافة المكتوبة
ثانيا. لمحة تاريخية عن الصحافة المكتوبة
ثالثا. أنواع الصحافة المكتوبة
رابعا. وظائف الصحافة المكتوبة
خامسا. التحليل السوسيولوجي الكيفي للصحافة المكتوبة
سادسا. التحليل السوسيولوجي الكمي للصحافة المكتوبة
سابعا. قائمة المصادر والمراجع

أولا. مفهوم الصحافة المكتوبة:

الصحافة المكتوبة هي "كل نشرة مطبوعة تشتمل على أخبار ومعلومات عامة وتتضمن سير الحوادث والملاحظات والانتقادات التي تعبر عن مشاعر الرأي العام وتباع في مواعيد دورية محددة وتعرض على الجمهور عن طريق الاشتراك والشراء".[1] كما يمكن اعتبارها كذلك نشرة مخصصة لتقديم الأخبار والتعليق عليها، وتعد الصحف وسيلة ممتازة لمتابعة الأحداث الجارية كما تؤدي دورا مهما في تشكيل الرأي العام.. والصحيفة عمل من أعمال الحضارة والتقدم فليست مهمتها فقط نقل الأخبار والأحداث بل بها أبواب عن الفن والرياضة والتسلية والأبواب التجارية بكافة أشكالها، وهي تحرص على أن تلبي حاجة كل إنسان.[2]

ثانيا. لمحة تاريخية عن الصحافة المكتوبة:

يمكن القول إنه وفي حوالي عام 1465م بدأ توزيع أولى الصحف المطبوعة وعندما أصبحت تلك الأخبار تطبع بصفة دورية، أمكن عندها التحدث عن الصحف بمعناها الحقيقي وكان ذلك في بدايات القرن السادس عشر، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر أخذت الصحافة الدورية بالانتشار في أوروبا وأمريكا، وأصبح هناك من يمتهن الصحافة مهنة يرتزق منها، وقد كانت الثورة الفرنسية حافزا لظهور الصحافة الحديثة، كما كانت لندن مهدا لذلك.[3]

أما في القرن التاسع عشر؛ فقد اهتمت الصحافة، بالطبقة العاملة في المصانع والمناجم والورش الصغيرة، فقد وجدت فيها الصحافة قوة صاعدة في عصر الثورة الصناعية، ولذلك اهتم الصحفيون الثوريون والتقدميون بالكتابة عن قضاياها ومتاعبها وإحباطاتها، فضموا المتعلمين والمثقفين من أبناء هذه الطبقة إلى جمهور القراء، لكن معظم الحكومات والسلطات، وقفت بالمرصاد لمثل هذه الاتجاهات الثورية.[4]

وفي القرن العشرين ألقت الحرب العالمية الأولى بثقلها على الصحافة، حيث فرضت الرقابة على الصحف في جميع البلدان تقريبا، وأصبحت تستخدم كوسيلة للدعاية ونشر البلاغات الرسمية. وقد امتحنت الصحافة بالأزمة الاقتصادية التي عمت العالم سنة 1929، فارتفعت تكاليفها وقلت إيراداتها وتأثرت بتدهور التجارة تأثرا كبيرا.[5]

وبنهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، دخلت الصحافة المكتوبة في أزمة حادة، في العديد من الدول نتيجة لثورة الاتصالات، التي غيرت أنماط الاهتمام والقراءة، وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومة، بما أدى إلى التراجع المتواصل لمبيعات الصحف الورقية وانخفاض عائداتها من الإعلانات، حيث لجأت مجموعة كبيرة من الصحف ذائعة الصيت إلى تقليص أرقام توزيعها وتسريح عدد كبير من العاملين فيها، وقد تحولت بعض الصحف إلى صحف رقمية.[6]

ثالثا. أنواع الصحافة المكتوبة:

يمكن تصنيفها وفق مجموعة من المعايير، نستعرضها على النحو الآتي:

- **معيار دورية الصدور:** نجد الصحف اليومية، والصحف الأسبوعية.
- **المعيار الجغرافي:** نجد الصحف المحلية، والصحف الوطنية، والصحف الدولية.
- **معيار المضمون:** نجد الصحف العامة والصحف المتخصصة.
- **معيار الملكية:** نجد الصحف الحكومية، والصحف الخاصة، والصحف الحزبية.
- **معيار طبيعة الجمهور:** نجد الصحف الجماهيرية، والصحف النخبوية، والصحف المتوازنة، والصحف الصفراء.
- **المعيار الاقتصادي:** نجد الصحف المدفوعة، والصحف المجانية.
- **معيار النمط:** نجد الصحف الخبرية وصحف الرأي والصحف المختلطة.
- **معيار الحجم:** نجد الصحف ذات الحجم الكبير البراودشيت Broadsheet (410/575 مم)، والصحف ذات الحجم البلجيكي Belge (370/500 مم)، والصحف ذات الحجم البرليني Berlinois (320/470 مم)،

والصحف ذات حجم التابلويد Tabloïd (A3) (290/410) وصحف نصف تابلويد Demi-Tabloïd (A4) (210/290 مم).

رابعا. وظائف الصحافة المكتوبة:

1. الوظيفة الإخبارية: تعد الوظيفة الإخبارية للإعلام الجماهيري مسألة بديهية غير خاضعة للنقاش وهي تحتل موقعا مركزيا في النشاط الإعلامي لأي مجتمع حر ديمقراطي، وتشكل الوظيفة الإخبارية قاعدة أساسية لا غنى عنها تؤهل الإعلام الجماهيري لتأدية وظائفه الأخرى، انطلاقا من المعلومات التي يتيح تعميمها ليمارس عمليات التأثير والإقناع.[7]

2. الوظيفة التفسيرية: يمكن القول إن هذه الوظيفة تستهدف تفكيك الظواهر المعالجة من خلال تقديم تفسيرات وتحليلات وقراءات عميقة لجماهير تعيش تخمة في الخبر، وفقرا في معرفة حيثيات الظواهر والوقائع والمستجدات التي تهم الرأي العام.

3. الوظيفة النقدية: أصبحت الوظيفة النقدية للصحافة أداة فعالة لتأشير الخلل وكشف الانحرافات وتحديد الخطأ وتبيان أوجه القصور في السياسات العامة وفي السلوكيات السياسية والإدارية والوظيفية لأصحاب القرار والسياسيين والمتنفذين في المجالات كافة وبما يؤدي إلى تجاوز السلبيات والوصول إلى حالة من التطور والبناء السليم في المجتمع، كما أن ممارسة الصحافة للنقد ولاسيما نقد الأوضاع القائمة والتدقيق في كل ما تفعله السلطات والنخب السياسية والمؤسسات العامة يساهم بدرجة كبيرة في الدفاع عن الديمقراطية وحماية مكتسباتها.[8]

4. الوظيفة التوثيقية: من خلال تناولها للأخبار وتغطية مختلف الوقائع والنشاطات، تقوم الصحافة بتوفير المادة الأولية التي يحتاجها المؤرخ الذي يقوم بالتحقق منها وتمحيصها وغربلتها وتصنيفها وتوثيقها للأجيال القادمة.

5. الوظيفة التوعوية: من خلال مادتها الإخبارية والتفسيرية تسعى الصحافة المكتوبة إلى توعية الجماهير، وتحذيرهم من مختلف المخاطر التي قد تتهددهم، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وطنيا ودوليا، وإذ هي تقوم بذلك تحاول الصحافة صناعة رأي عام حذق مدرك لذاته ولما يحيط به.

6. الوظيفة الإعلانية: تعتبر من أهم الوظائف التي تقوم بها الصحافة، قديما وحديثا، وتشكل العصب الرئيس لبقاء الصحف المكتوبة في الساحة التنافسية، نظرا للعائدات المالية التي تجنيها من خلال إدراجها لمختلف الإعلانات على صفحاتها بغية تسويقها لجمهور القراء.

7. وظيفة التسلية: لا تكتفي الصحافة المكتوبة منذ عقود طويلة، بنشر المواد ذات الطابع الخبري والإعلاني فقط، بل دأبت على إدراج الكثير من المواد ذات الأغراض الترفيهية، للتسلية على القراء، ومحاولة جذبهم بقصص ونكت وألعاب وألغاز، والغرض من ذلك رفع نسب مبيعاتها للحصول على إعلانات أكبر من الشركات الاقتصادية.

خامسا. التحليل السوسيولوجي الكيفي للصحافة المكتوبة:

ينطلق الباحث في التحليل الكيفي من تصور اجتماعي تأويلي للظاهرة المدروسة، انطلاقا من وصف وتفسير الأحداث وجمع آراء المبحوثين ومعتقداتهم وخبراتهم، وتتميز إستراتيجية البحث بالسيولة والقابلية للتطوير، كما أن الباحث يكون مندمجا في الموقف المدروس، وفي الغالب لا يستخدم أدوات بحثية، إذ يكون هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات.[9]

وعليه، يمكن إعداد إستراتيجية تحليلية، ترتكز على التأويل، لفهم البنية التي تشتغل وفقها الصحافة المكتوبة، وهذه العملية ليست بالسهولة التي نتوقعها؛ إذ تتطلب جهدا كبيرا وإلماما بالعمل البحثي، وبالموضوع المدروس، لذا يستوجب على الباحث استكشاف ميدان بحثه واستطلاعه بشكل جيد من خلال جمع أكبر قدر من المعلومات عن الصحيفة وتاريخ تأسيسها ومالكها أو مجموع ملاكها، ونوعها، وتمويلها، ومواردها البشري، وخطها الافتتاحي، بما يشتمل على توجهاتها السياسية والاقتصادية خصوصا، كل ذلك خلال فترة زمنية طويلة نسبيا أو على الأقل متوسطة، كما أنه من الأفضل أن يقوم الباحث بزيارات استطلاعية لمقرها المركزي ومقراتها الفرعية (إن وجدت)، لمحاولة معرفتها معرفة جيدة قبل الخوض في أية عملية تحليلية كيفية.

وفي البحوث السوسيولوجية ذات الطابع الكيفي يكون من المهم جدا، فهم البنية الخفية التي توجه الصحافة المكتوبة، وتفرض عليها خطها الافتتاحي، وخصوصا البنية السياسية بشكل أساسي والبنية الاقتصادية بشكل موازٍ، ويتضح ذلك بمحاولة معرفة التوجهات السياسية لملاكها وكذا طرق تمويلها، وتحليل مضامينها ومحاولة الربط بين ذلك، لاستنتاج علاقات ذات دلالة، فتغطية الصحيفة المدروسة لحدث سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي ذا أهمية بالغة، قد يسمح للباحث بفهم البنية التي تشتغل وفقها الصحيفة المدروسة، وبإمكان الباحث أن يستعين في هذا الخصوص بالبراديغم الذي وضعه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (Pierre Bourdieu) لكيفية اشتغال وسائل الإعلام في كتابه:

« Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme ».

وهذا الكتاب مترجم إلى اللغة العربية من طرف درويش الحلوجي تحت عنوان: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول.

سادسا. التحليل السوسيولوجي الكمي للصحافة المكتوبة:

ينطلق الباحث من افتراض مفاده أن العالم الاجتماعي واقعي، لذا يتخذ من التساؤلات والفروض القابلة للاختبار ركيزة له، مستعينا بأدواتٍ لجمع البيانات قابلة للتحليل الإحصائي، وفي البحوث الكمية لا يكون الباحث جزءا من البحث على عكس البحوث الكيفية.[10]

ويعتبر تحليل المضمون من أهم الأدوات التي تساعد في فهم الكثير من الظواهر والوقائع ذات الصلة بالصحافة المكتوبة، وخصوصا ما تعلق بمحتواها، وتعرف باردن (Bardin) تحليل المحتوى بأنه: "مجموع تقنيات تحليل الاتصال التي تهدف من خلال إجراءات منتظمة وموضوعية، إلى وصف مضمون البيانات".[11]

أما بيرلسون (Berelson) وكارترايت (Cartwright) فيعرفانه بأنه "تقنية بحثية تسعى إلى تقديم وصف موضوعي ومنهجي وكمي للمحتوى الظاهر للاتصال".[12]

لذا، يقوم الباحث السوسيولوجي وفق هذا المستوى من التحليل الكمي؛ إلى إخضاع الصحيفة موضوع الدراسة إلى سلسلة من الخطوات المنهجية هي:

1. تشكيل المدونة: يتم فيها التعريف بمجتمع الدراسة، وكيفية ضبط العينة وطريقة معاينتها.

2. فئات التحليل: يتم تقسيمها إلى قسمين رئيسين يتمثل الأول في مجموعة الفئات التي تصف المعاني والأفكار التي تظهر في المحتوى، وهي الفئات التي تهتم بالإجابة عن السؤال: ماذا قيل؟ والثاني: يمثل مجموعة الفئات التي تصف كيفية أو أسلوب تقديم أو عرض المحتوى، وتهتم بالإجابة عن السؤال: كيف قيل؟[13]

3. وحدات التحليل: يقصد بها العملية الفعلية التي تسمح بقياس وتسجيل وعد المعاني والدلالات التي تكون على علاقة مباشرة بالموضوع المدروس.

4. أداة التحليل: يقوم الباحث بتصميم استمارة تحليل، تسهيلا لعملية جمع البيانات ورصد القيم التكرارية للمادة موضوع التحليل، وذلك حسب ما تمليه أدبيات منهج تحليل المحتوى، ويشترط في ذلك تحكيمها من قبل مجموعة من الخبراء.

5. الصدق والثبات: يعتبر الصدق والثبات في بحوث تحليل المحتوى بمثابة الإطار الشرعي الذي يضفي على العملية التحليلية موضوعيتها، وصدقيتها لذا كان قياس الصدق والثبات من أهم الإجراءات المنهجية التي يجب على الباحث أن يلتزم بها أثناء قيامه بالدراسات والبحوث التي تعتمد على تحليل المحتوى. وفي هذا المستوى ولاختبار صدقية عمليته التحليلية يقوم الباحث بإخضاعها لشروط التحكيم العلمي من خلال عرض مجموع الخطوات السابقة على مجموعة من الخبراء وفق إجراءات منهجية متفق عليها علميا، أما بخصوص عنصر الثبات فالباحث مطالب بعد عملية تحكيم الخبراء؛ بإعادة إجراء تحليل آخر لقياس مدى ثبات تحليله الأولي.

سابعا. قائمة المصادر والمراجع:

1. علي كنعان: **الصحافة مفهومها وأنواعها**، ط 1، دار المعتز، عمان، الأردن، 2013، ص 6.

2. لؤي خليل: **الإعلام الصحفي**، ط 1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014، ص7.

3. المرجع السابق، ص 7.

4. نبيل راغب: **العمل الصحفي المقروء والمسموع والمرئي**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، مصر، 1999، ص 24.

5. أديب مروة: **الصحافة العربية نشأتها وتطورها- سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا**، دون طبعة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960، ص 63.

6. جودت هوشيار: "أزمة الصحافة الورقية في العصر الرقمي"، الحوار المتمدن. http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=362674&r=0. منشور يوم 4 جوان 2013. تم استرجاعه في: 01 أفريل 2020.

7. منال أبو الحسن: **أساسيات علم الاجتماع الإعلامي – النظريات والوظائف والتأثيرات**، ط 1، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 2007، ص 110.

8. حسين علي الفلاحي: **الإعلام التقليدي والإعلام الجديد**، ط 1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013، ص 86.

9. بوب ماتيوز، ليز روس: **الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية**، تر: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، مصر، 2016، ص 307.

10. المرجع السابق، ص 307.

11 . René L'Écuyer: **Méthodologie de l'analyse développementale de contenu-Méthode GPS et Concept de soi.** Presses de l'Université du Québec, Canada, 1990. P12.

12. Op cit. P7.

13. محمد عبد الحميد: **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2000، ص 230.